تَوْظيفُ الإمَامِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عليه السلام القَصَصَ القُرآنيَّ في كَلِماتِهِ ومَواعِظِهِ

أ.م.د جاسم محمد علي الغرابي
جامعة الكوفة – كلية الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن العظيم كتاب أنزله الله (عز وجل) على نبيه محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، ودينه عام لجميع الخلق وخاتمة لجميع الأديان، وهو دستور الخالق لإصلاح المخلوقين من البشر، وقانون السماء لهداية أهل الأرض، من حيث أمور دينه ودنياه، وهو برهان الرسالة ودليلها: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[سورة فصلت: ٤٢]، وهو مصدر التشريع الإسلامي يستند إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه، ف ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[سورة البقرة: ٢]، والوسيلة لإصلاح المجتمع الإسلامي إذا ساروا على ضوئه، وأخذوا بأحكامه وتعاليمه، ولم يحيدوا عن سننه وشرائعه.

فالقرآن الكريم لم يتخذ لنفسه طريقة خاصة لإفهام مقاصده غير ما هو مفهوم من لغة العرب وأصول محاوراتهم بلسان عربي مبين، ليدبروا آياته ويفهموا معانيه، وكان من جملة ما جاء به القصص القرآني لما فيه من نصوص مكتنزة بالمعاني، أشارت في طيها إلى جملة من الأحكام

التي يمكن أن يستنبط منها الفقهاء الكثير من الأحكام الشرعية، وكذلك نجد في القصة القرآنية الكثير من الدروس والعبر لما انمازت به من واقعية وأنبأتنا عن الأحداث التي جرت على الأمم السابقة بكل صدق وحقيقة، كي تكون عبرة لأصحاب العقول، وكذا تثبيتا لفؤاد النبي ﷺ، وما أجرى الله (عز وجل) من سننه في الأقوام السابقة ﴿ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الحجر: ١٣]. وإعلاماً بالغيب الماضي.

والقرآن العظيم أبان عن ذلك من خلال عرضه طائفة من قصص الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، وعباد الله المخلصين كقصة صاحب موسى عليه السلام ومريم الصديقة، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[سورة يوسف: ٣].

كان القرآن العظيم عند الإمام علي بن الحسين عليه السلام، يحتل المكانة السامية في قلبه، وتتقاطر آياته من شفتيه، يقف عند زواجره ونواهيه عاملاً، يسير مع حكمه وأمثاله معتبراً، ويوطد تعليماته وتشريعاته متقناً، ويستوحي عبره ومواعظه مسترشداً، يبكيه الوعيد في فقراته، ويحييه الرجاء في مكنونات عداته، يتدبر شأنه بإمعان، ويستنطق دلالاته بأناة.

وهو في ذلك يقول: ((أَللَّهُمَّ فَإِذْ أَفْدَتَنَا الْمَعُونَةَ عَلَى تِلاَوَتِهِ، وَسَهَّلْتَ جَوَارِيَ أَلْسِنَتِنَا بِحُسْنِ عِبَارَتِهِ، فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّسْلِيْمِ لِمُحْكَمِ آيَاتِهِ، وَيَفْزَعُ إِلى الاِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ وَمُوضَحَاتِ بَيِّنَاتِهِ. أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجْمَلاً، وَأَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجَائِبِهِ مُكَمَّلاً، وَوَرَّثْتَنَا عِلْمَهُ مُفَسَّراً، وَفَضَّلْتَنَا عَلَى مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ، وَقَوَّيْتَنَا عَلَيْهِ لِتَرْفَعَنَا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ))[1].

ومن هنا جاء البحث في محاولة متواضعة ليبين ما للإمام عليه السلام من دور في عملية استنطاق النصوص القرآنية التي حوت في مضانها تلك القصص، فنجده عليه السلام يروي تفاصيل القصص دون

(١) الصحيفة السجادية/ من الدعاء الحادي والأربعون.

أن يحدّث عن أحد، ولم يسند روايته لأحد، وإنما يمارس دوره الحقيقي الذي رسمه النبي الأكرم محمدﷺ ((إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))[٢]، فهوعليه السلام مصدر من مصادر التشريع الإسلامي.

والذي يقف عند ما جاء به الإمامعليه السلام من سرد للقصص القرآني، وسبر أغوارها ليميط اللثام عن الكثير من أسراها، والمتمثلة عادة في أبرز أسماء شخوصها، وربطها بواقعها الزمني، يجد الأمامعليه السلام حاكياً إلى جنب القرآن الكريم ومن خلال القرآن دروساً وعبر، يحتم على الإنسان المؤمن السير في ضوئها وهذا ما عمل عليه البحث.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون على مقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تناول البحث فيه:

المطلب الأول: التأصيل العلمي لمفهوم القصة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تطرق البحث فيه:

المطلب الأول: خصائص القصص القرآني.

المطلب الثاني: القيم التربوية في القصة القرآنية.

المبحث الثالث: اشتمل على ما يأتي:

المطلب الأول: الإمام علي بن الحسينعليه السلام وقصص الأنبياءعليهم السلام.

المطلب الثاني: الإمام علي بن الحسينعليه السلام وقصص الماضين من غيرهم.

المبحث الأول:

القِصَّة في القرآن الكريم

تناول البحث فيه:

المطلب الأول: التأصيل العلمي لمفهوم القصة في اللغة والاصطلاح.

القصة في اللغة:

الخَبر، وهو القَصَص، والقَصُ فِعل القاص إذا قَصَّ القَصَصَ، والقِصّة معروف والقَصُّ: إتباع الأثر، ويقال خرَجَ فلان في أثر فلان قَصّاً وذلك إذا أقتصَ أثره، وقيل القاصُ يَقص القصصَ

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/ ٢٩.

لإتباعه خبراً بعد خبر وسوقِه الكلام سوقاً[٣].

وقال الراغب في المفردات: القص، تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره[٤].

وأما القِصَّةُ في الاصطلاح: علماء التفسير وجهوا المسالةِ إلى أمرين:-

الأول: اعتمدوا على ما أورده اللغويون بما تحصل لديهم من معناه اللغوي، الذي أورد البحث جانباً منه.

والثاني: وقفوا من القصص القرآني تجاه ما يرمي إليه من أهداف وغايات، فتجدهم يصبون إليه من وجهة دينية، وهي مقصد القران الكريم من قَصَصه أو أهدافه التي.

ذكر الطوسي(ت٤٦٠هـ): إن المراد بالقصص: الخبر الذي تتابع فيه المعاني وأصله إتباع الأثر، وفلان يقص أثر فلان أي يتبعه[٥].

قال الرازي (ت٦٠٦هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٣]: ((القَصصُ إتباع بَعضِهِ بعض وأصله في اللغة المُتابعةِ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ... ﴾ [سورة القصص: ١١]، أي إتبعي أثره، وقال تعالى ﴿ .. فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[سورة الكهف: ٦٤]، أي إتباعاً وإنما سُميت الحِكاية قَصَصاً لأن الذي يقُصَّ الحديث يَذكُر القصَّة شيئاً فشيئاً))[٦]. وهو بهذا القول يدل على أن الرازي يحاول التقريب بين المعنى اللغوي والاصطلاحي الأدبي، وذلك حين يربط بين الاثنين باستعمال لفظ الحكاية وإطلاقه لفظ القِصّة عليها[٧].

وأما في تفسير قولهُ تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ .. ﴾ [سورة آل عمران: ٦٢] فيقول: ((والقَصَصُ هو مجموعُ الكلامِ المشتمل على ما يهدي إلى

(٣) ابن منظور: لسان العرب ٧/ ٣٨٨ (مادة قصص)، الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ٢/ ٣١٣.
(٤) ١/ ٦٧١.
(٥) التبيان ٢/ ٤٨٦.
(٦) مفاتيح الغيب ٨/ ٨٧.
(٧) محمد خلف الله: الفن القصصي في القران الكريم ١٥١.

الدين، ويَرْشُدُ إلى الحق، ويأمرُ بطلب النجاة))[٨]. وهو بهذا القول يشرح معنى القَصَص شرحاً دينياً، ويوضحُ معناه الاصطلاحي[٩].

وردت لفظة ((قَصَص)) وما اشتق منها في القران الكريم ثلاثين مرة[١٠].

وكان للشهيد الصدر الثاني (ت١٤٢١هـ) وقفة مع المعنيين يمكن لنا أن نعرض ما جاء به بهذا المضمار إذ يقول: ((ومن هنا نلاحظ أن الراغب يرجع القصة المعروفة إلى معنى تتبع الأثر، لكونها بالأصل من الأخبار المتتبعة، أي المطلوب بيانها وسماعها. في حين ترى ابن منظور يجعل القصة المعروفة مأخوذة من القصص وهو الخبر أو الكلام الذي في النفس. كما يمكن أن تكون القصة مأخوذة من القص وهو القطع، على اعتبار أنها قطعة من البيان المطلوب))[١١].

القصة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه -كما هو الشأن في القصة الغنية الحرّة، التي تَرمي إلى أداء غرض فني طليق -إنما هي وسيلة من وسائل القران الكثيرة إلى أغراضه الدينية. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقِصّة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها[١٢].

وفي القصص القرآني ترى تدبيراً عجيباً معجزاً في توزيع المشاهد القصصية توزيعاً محكماً بين الحدث والشخصية، فالأشخاص في القرآن أيّاً كانوا ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم وكشف أحوالهم، وإنما يكونون نماذج بشرية في مجال الحياة الخيّرة والشريرة في صراعها مع الخير والشر، وينظر إليهما بإعتبار الدور الذي تؤديه كشاهد من

(٨) المصدر السابق ١٥٢.
(٩) محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم: ٦٥٤ -٦٥٥.
(١٠) ابن كثير: تفسير القران العظيم ٥/ ١١٣، الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ١/ ١٠٧٨.
(١١) ما وراء الفقه ١٠/ ١١٨
(١٢) سيد قطب: في ظلال القران ١/ ٥٥.

شواهد الإنسانية في قوتها أو ضعفها، وفي استقامتها أو أغراضها في أهدافها أو ضلالها[١٣].

عرَّف مناع القطان (ت ١٤٢٠هـ) قصص القرآن بأنها: ((إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه))[١٤].

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني في القرآن الكريم.

اختلفت تقسيمات العلماء للقصص القرآني، فمنهم من قسمها باعتبار الطول والقصر ومنهم من قسمها باعتبار شخصيات القصة من أنبياء وغيرهم، فجاء تقسيم القصص عندهم على النحو الأتي:

١. قصة طويلة ترد مجزأة ثم تتجمع في موضعٍ واحد مثل قصة نوح عليه السلام، أو ترد مرة واحدة في مكانٍ واحد كقصة يوسف عليه السلام.

٢. قصة قصيرة محتوية على بعض العناصر كقصة النمل والهدهد، أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة[١٥].

أما تقسيمها عند الدكتور مناع القطان فقد جاء على ثلاثة أنواع[١٦]:

١. قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. قصص قرآني يتعلق بحوادث مضت، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، ومن ذلك قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين،

(١٣) ظ: فضل حسن عباس: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ٤٠.
(١٤) مباحث في علوم القرآن ٣٠٠.
(١٥) مريم السباعي: القصة في القرآن الكريم ٣٠.
(١٦) ظ: المصدر السابق٦ ٣٠.

وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

٣. قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأُحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء ونحو ذلك.

المبحث الثاني:

المطلب الأول: خصائص القصص القرآني.

أتسمت القصّة في القرآن الكريم بخصائص فنية عالية المستوى لم تستطع أن تدانيها سائر القصص الأخرى لما لها من قدسية وجلالة شرفها القرآن العظيم، فضلاً عما يزيد في بلاغته وإعجازه، كما ان غرضها ديني محدد؛ لهذا جاء أسلوبها متناغماً مع هذا الغرض الذي سيقت لأجله.

قسم العلماء خصائص القصص القرآني على قسمين:

١. خصائص ذاتية.

٢. خصائص فنية.

أما الذاتية فمنها: القصص القرآني جزء من كتاب الله تعالى، وهو الحق الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[سورة يوسف: ٣].

القصص القرآني تعبير صادق، قائم على الواقعية، فهو يتفق مع الإنسان في حقيقته ·وواقعه.

التسامي في الهدف، حيث لا يدعى في القصص القرآني إلى شيء إلا و يُقصَد من ورائه هدف نبيل في غايته، ولا ينهى عن شيء إلا وكان للنهي عنه حكمة جليلة[١٧].

موضوع القصص هو الإنسان المستخلف في الأرض بما يدور حوله في الكون وما يحدث له وما ينبغي أن يكون عليه حاله، فهو قطب الرحى في القصة القرآنية مثلما هو قطب الرحى في الكون الذي استُخلف فيه.

(١٧) ظ: مريم السباعي: القصة في القرآن الكريم ٣٩.

القصة القرآنية ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، كما هو شأن القصة العادية، وإنما هي وسيلةٌ من وسائل القرآن إلى إبراز الأغراض الدينية التي تكفل للإنسان السعادتين[١٨].

وقد أبان الشهيد الصدر الثاني (ت١٤٢١هـ) عن واقعية وحقيقة وصدق القصص القرآني عندما فصل القول في كتابه (ما وراء الفقه في مبحث القصة في القرآن الكريم) لدى حديثه عن وهمية وحقيقة القصص القرآني[١٩].

أضف إلى ذلك أن التأمل في آيات القصص القرآني يكشف لنا عن وجه من وجوه الأعجاز في القرآن العظيم، إذ يتأتى ذلك في الشخوص الذي يتناولها القصص، فالأبطال الذين يقدمهم في قصصه أبطال حقيقيّون لا خياليّون، وكل واحد في نفسه منهم منعدم النظير:

فإبراهيمعليه السلام: البطل الذي حطّم الأصنام بروحه العالية التي لا تقبل المساومة مع الطغاة.

ونوحعليه السلام: بطل الصبر والإستقامة والشفقة والقلب المحترق في ذلك العمر الطويل المبارك.

وموسىعليه السلام: البطل المربّي لقومه اللجوجين، والذي وقف بوجه فرعون المتكبر الطاغي.

ويوسفعليه السلام: بطل الورع والتقوى والطهارة... أمام امرأة محتالة جميلة عاشقة[٢٠].

ويمكن إجمال أبرز الخصائص الفنية للقصص القرآني فيما يأتي:

١. الأسلوب المتنوع للعرض:

فالقصة في القرآن العظيم لا يتم الإخبار عنها إخباراً مجرداً، بل نجده يقدم ملخصاً للقصة، ثم يبدأ بعرض التفصيلات من بدئها إلى نهايتها، متناولاً جميع المشاهد والمناظر المعروضة، فإذا بالقصة حادث يقع ومشهد يجري، وذلك كقصة أصحاب الكهف، فالتلخيص في بدايتها كان مقدمة تجذب النفس للتفصيلات، فقد قال (عز وجل): ﴿ أَمْ

(١٨) ظ: محمد قطب: القصة في القرآن ٢٥.
(١٩) ظ: ١٠/ ١٣٢ -١٣٩.
(٢٠) تفسير الأمثل٧/ ١١٢.

﴿ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾[سورة الكهف: ٩ -١٢].

يقول ناصر مكارم الدين الشيرازي: (المُلفت للنظر أنَّ القرآن ذكر في البداية قصّة هذه المجموعة مِن الفتية بشكل مجمل، مُوظفاً بذلك أحد أُصول فن الفصاحة والبلاغة، وذلك لِتهيئة أذهان المستمعين ضمن أربع آيات، ثمّ بعد ذلك ذكر التفاصيل في (١٤) آية)[٢١].

إذ يبين لنا القرآن العظيم كيف بدأ ت التفصيلات الشائقة توضح تشاورهم قبل دخول الكهف، ثم نومهم ويقظتهم، وإرسال أحدهم إلى السوق، ثم موتهم واختلاف الناس في أمرهم.

في حين نجد أن القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام يصور لنا مشهداً أخر تتجلى فيه بوضوح عاقبة القصة وهدفها، ثم بدايتها وسير خطواتها.

و قد افتتح (عز وجل) قصته عليه السلام بذكر هذه الرؤيا التي أراها له و هي بشرى له تمثل له ما سيناله من الولاية الإلهية و يخص به من اجتباء الله إياه و تعليمه تأويل الأحاديث و إتمام نعمته عليه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾[سورة يوسف: ٤]، ويدركُ الأب النبيّ أنّ هذه الرؤيا ترمز إلى اصطفاء ولده يوسف عليه السلام.

واللافت أنّ الرؤيا قد تحققت حسّاً ومعنى، انظر ما جاء في خواتيم سورة يوسف ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾[سورة يوسف: ١٠٠]، فالصورة الحسّيّة للسجود المُعبّر عن الاحترام والاعتراف بالفضل قد تحقّقت كما ورد في الرؤيا[٢٢].

كما نلاحظ أن القرآن العظيم قد يذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص،

(٢١) تفسير الأمثل ٩/ ٢٠٣.

(٢٢) ظ: الطباطبائي: الميزان ١١/ ٤١، سيد قطب: في ظلال القرآن ٤/ ٢٩١.

ويكتفى بها في ثناياها من مفاجآت خاصة بها، وذلك مثل قصة مريم عند ولادتها عيسى عليه السلام.

قال تعالى ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾[سورة مريم: ٢٧ -٢٨].

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾[سورة مريم: ٢٩].

فالمتأمل للآيات المباركة يجد هذه الشريحة القصصية المتصلة بمريم و عيسى تشكّل القسم الأخير من قصة مريم، مثلما يمكننا أن نقول بأنّها بداية لقصة جديدة هي قصة عيسى عليه السلام.

ومن خصائص القصص القرآني أيضاً، العرض التمثيلي: وهو العرض الذي يقوم على إبراز المشاهد الرئيسية، والحلقات الأساسية من القصة، بشكل واضح وجلي أمام الناظر أو المتخيل، بينما يترك له بين كل مشهد وآخر من هذه المشاهد أو الحلقات فجوات يطوي فيها ما بين المشاهد من الروابط البدهية، ويفسح المجال للخيال حتى يملأها.

وهذه الطريقة من العرض سمة بارزة في القصص القرآني، إذ من شأنها أن تعطي القيمة الفنية للقصة، وتضفي عليها الحيوية وتبعث فيها الحياة، بينما تقل هذه القيمة وتضعف أكثر فأكثر كلما شغل الذهن بعرض تلك الروابط البدهية، وذكر تلك التفصيلات التي غالبا ما تمل النفوس سماع الحديث عنه[٢٣].

ومن أمثلة هذه الخاصة المهمة: المشهد الذي يصوره القرآن في قصة إبراهيم وإسماعيل في بنائهما الكعبة المشرفة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

(٢٣) التنويع في الاستهلال بالقصة ووضع المدخل إليها: أمل عبد الجبار كريم الشرع، www. uobabylon. edu. iq/ uobcoleges/ lecture. aspx?fid=19&lcid=34954

﴿وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧-١٢٩].

قال في تفسير الأمثل[٢٤]: يتضرع إبراهيم وإسماعيل إلى ربّ العالمين بخمسة طلبات مهمة. وهذه الطلبات المقدّسة حين الإشتغال بإعادة بناء الكعبة جامعة ودقيقة بحيث تشمل كل احتياجات الإنسان المادية والمعنوية، وتفصح عن عظمة هذين النبيين الكبيرين.

قالا أوّلا: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾.

ثم أضافا: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾.

وطلبا تفهم طريق العبادة: وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا، ليعبد الله حقّ عبادته.

ثم طلبا التوبة: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

الآية الأخيرة تضمنت الطلب الخامس، وهو هداية الذرية ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

ظاهرة تكرار القصة في القرآن العظيم:

تكاد تكون علامة فارقة من خصائص القصص القرآني لكن هذا ليس المراد به التكرار في الموضوع الواحد كما يتصوره البعض، وذلك لأن القِصة الواحدة يتكرر عرضها في سُور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قُصة، أو حلقة تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يُساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار[٢٥].

وقد أبان الخطيب الإسكافي عن هذا بقوله: ان ليس في القران تكرار إلا وله قصد يبعث على ذلك التكرار؛ إذ يقول: ((إذا أُعيد الكلام لإسباب مختلفة، لم يُسَمَّ تكراراً))[٢٦]. ((وأن التكرار لم يأتِ إلا ويقدم زيادة في القِصّة لم تكن وردت من قبل))[٢٧]. ومما يلفت النظر في قَصص الأنبياء هو أن معاني القِصَة ترد مكررة في مواضع شتى من سُور

(٢٤) ناصر مكارم الدين الشيرازي ١/ ٣٨٣.

(٢٥) سيد قطب: في ظلال القرآن ٥٥.

(٢٦) درة التنزيل وغرَّة التأويل: في بيان الايات المتشابهات في كتاب الله العزيز ٨٢.

(٢٧) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٩.

القرآن الكريم، ولكن هذا التكرار غالباً لا يتناول القِصّة كُلَّها، وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها، وسببه أنَّ المعاني الأدبية والفنية هي من مقاصد القصة في القرآن، ومن الأمور التي يبحث عنها، وهي التي تجعل الحادثة الواحدة تُصور بصور مختلفة ويُعبر عنها بعبارات متفاوتة حسب الظروف والمناسبات[٢٨].

يقول سيد قطب (ت١٣٨٧هـ)عن هذه الظاهرة: ((ولكن هذا التكرار أنشأ جمالاً فنياً من ناحية أُخرى ذلك أن عرض هذا الشريط يخيّل للمتأمل أنه نبي واحد، وأنها إنسانية واحدة، على تطاول الأزمان والآماد كل نبي يمر وهو يقول كلمتُه الهادية، فتكذبه الإنسانية الضالة، ثم يمضي ويجئ تاليه فيقول الكلمة ذاتها ويمضي، وهكذا))[٢٩].

وقد أخذت ظاهرة التكرار حيزا كبيرا في مجال الدراسات المتخصصة في هذا الجانب، إذ توسع الباحثون في دراستها، وانتهوا -بقدر طاقتهم البشرية-إلى أن هذه الظاهرة لا تُعد تكراراً في الحقيقة، ولكنها صوراً للمواقف والمشاهد المختلفة، ولو جُمِعَت القِصّة الواحدة كلها في موطن واحد لفات الكثير والكثير من مواطن العبرة والعظة، ولضاعت معالم الإعجاز البياني ومناحيه المختلفة، ووجوهه التي لا تتألق إلاّ في ظل هذا التكرار، ولأشبهت القِصة القرآنية القِصة التاريخية، التي لا تعنى إلاّ بإبراز الشخصيات والحوادث من غير نظر إلى الاتعاظ والاعتبار والتوجيه، ولما وجدت الأحكام القرآنية والمناهج التربوية ما يبرزها في صُور تجسد المعاني وتحضر لها في الأذهان مكاناً[٣٠].

وهناك الكثير من الخصائص التي لا يسع المجال ذكرها كونها ليست الغاية الأساسية من البحث.

المطلب الثاني: القيم التربوية في القصة القرآنية:

توطئة:

(٢٨) عفيف عبد الفتاح طبارة: مع الأنبياء في القران الكريم ٢٦.

(٢٩) التصوير الفني ١٤١.

(٣٠) إسماعيل محمد بكر: قصص القرآن من آدمعليه السلام إلى أصحاب الفيل ١١.

تُعد القيم التربوية في القصة القرآنية ركيزة أساسية من الركائز التي تؤكد على الأخلاق الإنسانية العالية في مقابل التركيز على الأحاسيس والانفعالات في شخصية الإنسان والتربية على الاهتمام بالغرائز. لأن المسيرة والحركة التكاملية للإنسان –سواء على مستوى الفرد والجماعة –إنما تقوم على أساس الأخلاق بعد العقيدة بالله تعالى والرسالات واليوم الآخر، بل إن الاتصاف بالأخلاق العالية هو الذي يمثل عنصر التكامل الحقيقي في حركة الإنسان الفردية والجماعية، ولذا كانت قاعدة المجتمع الإنساني في نظر الإسلام قاعدة أخلاقية، والسلوك الراقي للإنسان هو السلوك الأخلاقي. وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[٣١].

المقصد الأول: التأصيل العلمي لمفهوم القيم التربوية في اللغة والاصطلاح:

القيم في اللغة: تعددت معاني كلمة القيم في معاجم اللغة العربية وكانت في معظمها تدور حول مفهوم الاعتدال والاستقامة وتقدير الثمن والعدل والثبات.

قال ابن منظور: تعني القيم الاستقامة، الاستقامة واعتدال الشيء واستواؤه[٣٢].

وجاء في المصباح المنير «قام المتاع لكذا أي تعدلت قيمته به والقيمة الثمن الذي يقام به المتاع أي يقوم مقامه[٣٣].

اما الراغب الأصفهاني فالقيم لديه تعني: ديناً قيماً مقوماً لأمور معاشهم ومعادهم[٣٤].

والبحث يخلص أن معنى القيم في اللغة تدور حول معاني عدة منها:

أنها تأتي بمعنى الثبات على أمر نقول فلان ماله قيمة أي ماله ثبات على الأمر، وتأتي بمعنى الاستقامة والاعتدال يقول تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[سورة الاسراء: ٩].

معنى القيم اصطلاحاً: نظرا

(٣١) البيهقي: السنن الكبرى ١٠/ ١٩٢.

(٣٢) لسان العرب ٥/ ٣٧٨٢.

(٣٣) الفيومي ١/ ٢٦٨.

(٣٤) مفردات غريب القرآن ١/ ٦٩١.

لأن مصطلح القيم يدخل في كثير من المجالات فقد تنوعت المعاني الاصطلاحية لة بحسب المجال الذي يدرسه وبحسب النظرة إليه وقد عرف الباحثون القيم اصطلاحاً على النحو التالي:

١. «مقياس أو مستوى أو معيار نستهدفه في سلوكنا، وينظر إليه على أنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه»[٣٥].

٢. «عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية موجهة نحو الأشخاص والأشياء وأوجه النشاط»[٣٦].

٣. كما عرفت بأنها «مجموعة من القوانين والمقاييس تنشأ في جماعة ما ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال المادية والمعنوية وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح خروجا عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا»[٣٧].

٤. وعرفها علماء الاجتماع: بأنها الاعتقاد بأنها شيء ذو شيئا ما ذا قدرة على إشباع رغبة إنسانية وهي صفة للشيء تجعله ذا اهمية للفرد أو للجماعة وهي تكمن في العقل البشري وليست في الشيء الخارجي نفسه[٣٨].

٥. أو هي «المثاليات التي تسود في الأفراد وتتغلغل في نفوسهم ويتوارثها الأجيال ويدافعون عنها قدر الإمكان»[٣٩].

من خلال ذلك يتضح لدينا ان القيم هي عبارة عن مجموعة من المعتقدات والتصورات الذهنية والنفسية والاجتماعية والجسمية شبه الثابتة والمستقرة لدى الأنسان والتي يفضلها على غيرها من التصورات حول الأشياء

(٣٥) محمد ابراهيم كاظم: «التطور القيمي وتنمية المجتمعات الريفية»، المجلة الاجتماعية القومية، العدد الثالث، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية.

(٣٦) زهران حامد: علم النفس الاجتماعي، القاهرة: مكتبة عالم الكتب ١٠١.

(٣٧) احمد، بركات: في فلسفة التربية، الرياض: دار المريخ للنشر ٧٥.

(٣٨) طهطاوي، سيد أحمد: «القيم التربوية في القصص القرآني» رسالة ماجستير، مصر: دار الفكر العربي ٤٧.

(٣٩) عبد الفتاح إسماعيل: القيم السياسية في الإسلام القاهرة: الدار الثقافية للنشر ٣٤.

ويمارسها باقتناع في حياته المعتادة.

التربية في اللغة والاصطلاح:

أورد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ): الرب فى الأصل التربية وهو إنشاء الشى ء حالا فحالا إلى حد، ولا يقال الرب مطلقا إلا الله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سورة سبأ: ١٥]. والمتولى لمصالح العباد وبالإضافة يقال له والغيره نحو قوله ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ويقال رب الدار ورب الفرس لصاحبهما وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ [سورة يوسف: ٤٢])[٤٠].

جاء في لسان العرب: ربا الشيء أي زاد ونما واربيته أي نميته[٤١].

وفي المعجم الوسيط: تربى بمعنى نشأ وتغذى وتثقف، وفي نفس المعجم ربّاه أي نمّى قواه العقلية والجسدية والخلقية[٤٢].

اما اصطلاحا فقد تباين معنى التربية ومفهومها تبعا لتباين واختلاف طبيعة الدراسات النفسية والاجتماعية في نظرتها للفرد وللمجتمع ذلك لان العمل التربوي ينصب على تنشئة الانسان وتكوينه، كما ان الذي يتولى هذا العمل هو الانسان نفسه، والانسان في تغير وتطور مستمرين في نظرته الى نفسه والى العالم من حوله، وهذا العالم بدوره في تبدل دائم والمقصود بذلك ان عاملي الزمان والمكان يحددان نظرة الانسان وتعريفه للتربية، فمعنى التربية لا يتأثر بمرور السنين فحسب بل باختلاف المكان وبناءا على ما تقدم نجد ان التربية تعني عملية التفاعل المستمر التي تتضمن مختلف انواع النشاط المؤثرة سلبا وايجابا في الفرد والتي تعمل على توجيهه في الحياة الطبيعية.

لذا جاءت القصة في القرآن الكريم ذات طابع أخلاقي، وللتربية على الإيمان بالله والأخلاق مثل الإيمان بالغيب، أو على التسليم والخضوع لله تعالى وللحكمة الإلهية، أو على الأخلاق الإنسانية

(٤٠) ظ: المفردات في غريب القرآن ١/ ٢٤٢.
(٤١) ابن منظور ٣/ ١٥٧٢.
(٤٢) إبراهيم مصطفى وآخرون ١/ ٣٢٦.

العالية كالصبر والإخلاص والحب لله تعالى والتضحية في سبيله والشجاعة والاستقامة في العمل والقدوة الحسنة.

المطلب الأول: الإمام علي بن الحسين عليه السلام وقصص الأنبياء عليهم السلام.

اكتفى البحث بأنموذجين:

١. قصة يعقوب عليه السلام.

٢. قصة موسى عليه السلام وغيبته.

إنّ في قصص القرآن الكريم ذكراً لسيرة الأنبياء والصالحين، عبرةً للناس وتنويها بفضل أولئك الأنبياء والصالحين، ورفعهم أسوة حسنة، والإمام علي بن الحسين عليه السلام هو من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، في طليعة فئة الأنبياء والرسل والصالحين، ولذلك فهو أسوة حسنة، وسيرته مثالٌ يحتذى، فلنقف نتأمل ما جاء عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

١. قصة يعقوب عليه السلام.

عن أبي حمزة الثمالي قال: ((صليت مع علي بن الحسين (صلوات الله عليه) الفجر بالمدينة في يوم الجمعة، فدعا مولاة له يقال، لها وشيكة وقال لها: لا يقفن على بابي اليوم سائل إلا أعطيتموه، فان اليوم الجمعة فقالت: ليس كل من يسأل محق جعلت فداك؟. فقال: أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقا فلا نطعمه ونرده، فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم ثم قال عليه السلام: إن يعقوب كان كل يوم يذبح كبشا يتصدق منه ويأكل هو وعياله، وان سائلاً مؤمناً صواماً قواماً له عند الله منزلة مجتازا غريبا اعتر* بباب يعقوب عشية جمعة عند أوان إفطاره، فهتف ببابه: أطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم، يهتف بذلك على بابه مرارا وهم يسمعونه جهلوا حقه ولم يصدقوا قوله، فلما أيس منهم أن يطعم وتغشاه الليل استرجع واستعبر* وشكا جوعه إلى الله وبات طاوياً وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً لله، وبات يعقوب وآله شباعاً بطاناً وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم.

قال عليه السلام: فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت عبدي ذلة استجرت بها غضبي، واستوجبت

بها أدبي ونزول عقوبتي وبلواي عليك وعلى ولدك يا يعقوب، أما علمت أن أحب أنبيائي إلى وأكرمهم على من رحم مساكين عبادي، وقربهم إليه وأطعمهم وكان لهم مأوى وملجئا، يا يعقوب أما رحمت دميال عبدي المجتهد في عبادي، القانع باليسير من ظاهر الدنيا عشاء أمس لما اعتر ببابك عند أوان إفطاره، يهتف بكم: اطعموا السائل الغريب المجتاز فلم تطعموه شيئا، واسترجع واستعبر وشكا ما به إليَّ، وبات طاويا حامدا صابرا وأصبح لي صائما، وبت يا يعقوب وولدك ليلكم شباعاً وأصبحتم وعندكم فضلة من طعامكم، وما علمت يا يعقوب أنى بالعقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منى بها إلى أعدائي، وذلك منى حسن نظر لاوليائى، واستدراج منى لاعدائى، أما وعزتي لأنزلن بك بلواي ولاجعلنك وولدك غرضا لمصابي ولاؤدبنك بعقوبتي، فاستعدوا لبلائي و ارضوا بقضائي واصبروا للمصائب.

قال أبو حمزة: فقلت لعلي بن الحسين : متى رأى يوسف الرؤيا؟. فقال:

في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وولده شباعا، وبات فيها دميال جائعاً رآها فأصبح فقصها على يعقوب من الغد فاغتم يعقوب لما سمع من يوسف الرؤيا مع ما أوحى الله إليه أن استعد للبلاء، فقال ليوسف: لا تقصص رؤياك هذه على أخوتك فأنى أخاف أن يكيدوك، فلم يكتم يوسف رؤياه وقصها على أخوته.

فقال علي بن الحسين: فكان أول بلوى نزلت بيعقوب وآله الحسد ليوسف لما سمعوا منه الرؤيا التي رآها، قال: واشتد رقة يعقوب على يوسف وخاف أن يكون ما أوحى الله إليه من الاستعداد للبلاء إنما ذلك في يوسف فاشتدت رقته عليه، وخاف أن ينزل به البلاء في يوسف من بين ولده فلما أن رأى أخوة يوسف ما يصنع يعقوب بيوسف من إكرامه وإيثاره إياه عليهم اشتد ذلك عليهم، وابتدئ البلاء فيهم، فتآمروا فيما بينهم..))[٤٣].

وتنتهي هذه القصة التي جاءت في

(٤٣) العياشي: تفسير العياشي ٢/ ١٧٥، الطباطبائي: الميزان ١١/ ٦١.

القرآن العظيم وما أعتبر به الإمام عليه السلام منها بسؤال ابي حمزة: علي بن الحسين عليه السلام ابن كم كان يوسف يوم ألقوه في الجب؟. فقال عليه السلام: ابن تسع سنين فقلت: كم كان بين منزل يعقوب يومئذ و بين مصر فقال عليه السلام: مسيرة اثني عشر يوما.

من هنا نجد أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قد أبان ما في هذا السرد القصصي القرآني، من أسرار وعظات، تلمسنا منها الاعتبار بالحث على إطعام المساكين، وعدم رد المستضعفين، كما نلحظ أن الإمام عليه السلام قد ربط القصة بواقعها الزمني، وأبرز أسماء شخوصها، وإلمامه الكامل بكل تفاصيلها. كما أفادت القصة ضمنياً بأن الصيام كان مفروضاً على الأمم السابقة، إذ أن السائل كان صائماً وجاء وقت الإفطار، الأمر الذي يصدقه القرآن بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[سورة القرة: ١٨٣].

٢. قصة موسى عليه السلام وغيبته:

عن سعيد بن جبير عن سيد العابدين علي بن الحسين عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي عن أبيه سيد -الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، لما حضرت يوسف عليه السلام الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله وأثنى عليه ثم حدثهم بشدة تنالهم تقتل فيها الرجال، وتشق فيها بطون الحبالى، وتذبح الأطفال، حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوى بن يعقوب، وهو رجل أسمر طوال، ووصفه ونعته لهم بنعته، فتمسكوا بذلك ووقعت الغيبة والشدة ببني إسرائيل وهم ينتظرون قيام القائم أربعمائة سنة، حتى إذا بشروا بولادته ورأو علامات ظهوره اشتدت البلوى عليهم، وحمل عليهم بالحجارة والخشب، وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه، فاستتر فراسلوه فقالوا: كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك فخرج بهم إلى بعض الصحارى، وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر، وكانت ليلة قمراء -فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حديث السن وقد خرج

من دار فرعون يظهر النزهة، فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحته بغلة، وعليه طيلسان خز فلما رآه الفقيه عرفه بالنعت، فقام إليه وانكب على قدميه فقبلهما، ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرانيك فلما رأى الشيعة ذلك علموا انه صاحبهم، فانكبوا على الأرض شكرا لله (عز وجل)، فلم يزدهم إلا أن قال: أرجو أن يعجل الله فرجكم ثم غاب بعد ذلك وخرج إلى مدينة مدين، فأقام عند شعيب النبي ما أقام، فكانت الغيبة الثانية اشد عليهم من الأولى، وكانت نيفا وخمسين سنة، واشتدت البلوى عليهم، واستتر الفقيه فبعثوا إليه انه لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحارى واستدعاهم وطيب نفوسهم، وأعلمهم أن الله (عز وجل) أوحى إليه انه مفرج عنهم بعد أربعين سنة، فقالوا باجمعهم: الحمد لله فأوحى الله (عز وجل) إليه قل لهم قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم الحمد لله فقالوا: كل نعمة فمن الله فأوحى الله إليه قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة، فقالوا: لا يأتي بالخير إلا الله فأوحى الله إليه قل لهم: قد جعلتها عشرا، فقالوا: لا يصرف السوء إلا الله، فأوحى الله إليه قل لهم: لا تبرحوا فقد أذنت لكم في فرجكم، فبيناهم كذلك، إذ طلع موسى عليه السلام راكبا حمارا فأراد الفقيه أن يعرف الشيعة ما يستبصرون به فيه، وجاء موسى عليه السلام حتى وقف عليهم فسلم عليهم فقال له الفقيه: ما اسمك؟. قال: موسى قال: ابن من؟. قال ابن عمران قال: ابن من؟. قال، ابن قاهب بن لاوى بن يعقوب، قال: بماذا جئت؟. قال جئت بالرسالة من عند الله (عز وجل)، فقام إليه فقبل يده ثم جلس بينهم فطيب نفوسهم وأمرهم أمره ثم فرقهم فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعين سنة[٤٤].

فالمتأمل في القصة يجد أن الإمام عليه السلام قد حدد الفترة الزمنية التي كانت بين موسى ويوسف عليهما السلام بـ(٤٠٠) سنة، كما أن الغيبة كانت من السنن الآلهية، فلا غضاضة أن الله (عز وجل) يجريها على غير موسى من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام،

(٤٤) ظ: الصدوق: كما الدين وإتمام النعمة ٨٦، الحويزي: نور الثقلين ١/ ٨٦.

كغيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وأن الإيمان بذلك والصبر وانتظار الفرج هو من أسمى العبادات، أضف إلى ذلك أن من السنن أن يبشر الرسول أو النبي السابق باللاحق ويوصي بإتباعه وتصديقه، وإن كانت المسافة الزمنية بينهما بعيدة كم هو الحال في يوسف وموسى عليهما السلام وكذلك الحال ببشارة عيسى بالنبي صلى الله عليه وآله وهو ما أشار إليه قوله تعالى ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [سورة الصف: ٦].

المطلب الثاني: الإمام علي بن الحسين عليه السلام وقصص الماضين من غيرهم.

- **قصة هابيل وقابيل:**

عن أبي حمزة الثمالي عن ثوير بن أبي فاختة قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدث رجلا من قريش قال: لما قرَّب ابنا آدم القربان قرب أحدهما أسمن كبش في ضأنه، وقرب الأخر ضغثا من سنبل فتقبل من صاحب الكبش وهو هابيل ولم يتقبل من الأخر فغضب قابيل فقال لهابيل والله لاقتلنك فقال هابيل، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٧ - ٣٠] فلم يدر كيف يقتله حتى جاء إبليس فعلمه فقال: ضع رأسه بين حجرين ثم اشدخه، فلما قتله لم يدر ما يصنع به فجاء غرابان فأقبلا يتضاربان حتى اقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر الذي بقي الأرض بمخالبه ودفن فيه صاحبه قال قابيل: ﴿ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ فحفر له حفيرة ودفنه فيها فصارت سنة يدفنون الموتى فرجع قابيل إلى أبيه فلم ير معه هابيل: فقال له آدم. أين تركت ابني؟. قال له قابيل أرسلتني عليه راعيا؟.

فقال آدم. انطلق معي إلى مكان القربان وأوجس قلب آدم بالذي فعل قابيل فلما بلغ مكان القربان استبان قتله فلعن آدم الأرض التي قبلت دم

هابيل، وأمر آدم أن يلعن قابيل ونودي قابيل من السماء. لعنت كما قتلت أخاك. ولذلك لا تشرب الأرض الدم فانصرف آدم فبكى على هابيل أربعين يوما وليلة، فلما جزع عليه شكى ذلك إلى الله تعالى فأوحى الله إليه أنى واهب لك ذكرا يكون خلفا من هابيل، فولدت حوا غلاما زكيا مباركا، فلما كان يوم السابع أوحى الله إليه: يا آدم إن هذا الغلام هبة منى لك فسمه هبة الله فسماه آدم هبة الله[٤٥].

من خلال هذا السرد القصصي القرآني نلحظ أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قد بين أن الحسد من الصفات الذميمة ونتائجها الفتاكة سواء على صعيد الفرد والمجتمع، وهو من قاد قابيل إلى قتل أخيه هابيل، فضلاً عن الانقياد التام إلى الشيطان. كما أشارت القصة الى سنة من سنن الكون وهي دفن الأموات من بني البشر.

- **قصة أصحاب السبت:**

روي علي بن الحسين عليه السلام أنه قص ما كان من قصة أصحاب السبت الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[سورة البقرة: ٦٥].

كان هؤلاء قوما يسكنون على شاطئ بحر نهاهم الله و أنبياؤه عن اصطياد السمك في يوم السبت، فتوسلوا إلى حيلة ليحلوا بها لأنفسهم ما حرم الله، فخدوا أخاديد*، وعملوا طرقا تؤدي إلى حياض، يتهيأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهيأ لها الخروج إذا همت بالرجوع، فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان الله لها فدخلت في الأخاديد وحصلت في الحياض والغدران، فلما كانت عشية اليوم همت بالرجوع منها إلى اللجج لتأمن صائدها فرامت الرجوع فلم تقدر، فبقيت ليلتها في مكان يتهيأ أخذها بلا اصطياد لاسترسالها فيه وعجزها عن الامتناع لمنع المكان لها، فكانوا يأخذونها يوم الأحد، ويقولون: ما اصطدنا في السبت، وإنما اصطدنا في الأحد، وكذب أعداء الله

(٤٥) القمي: تفسير القمي ١/ ١٦٥، الصدوق: الأمالي ٣٢٨، الطباطبائي: الميزان ٥/ ٣٤٥.

بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السبت حتى كثر من ذلك مالهم وثراؤهم وتنعموا بالنساء وغيرهن لاتساع أيديهم به، فكانوا في المدينة نيفا وثمانين ألفا، فعل هذا منهم سبعون ألفا، وأنكر عليهم الباقون، كما نص الله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٣]، وذلك أن طائفة منهم وعظوهم وزجروهم عذاب الله وخوفوهم من انتقامه وشديد بأسه وحذروهم فأجابوهم عن وعظهم: ﴿ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤] بذنوبهم هلاك الاصطلام ﴿ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤] فأجابوا القائلين هذا لهم: ﴿ مَّعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤] هذا القول منا لهم معذرة إلى ربكم إذ كلفنا الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، فنحن ننهي عن المنكر ليعلم ربنا مخالفتنا لهم وكراهتنا لفعلهم، قالوا: ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤] ونعظهم أيضا لعلهم تنجع فيهم المواعظ فيتقوا هذه الموبقة ويحذروا عقوبتها، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا ﴾[سورة الأعراف: ١٦٦] حادوا وأعرضوا وتكبروا عن قبولهم الزجر ﴿ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٦] مبعدين عن الخير مقصين، فلما نظر العشرة آلاف ونيف أن السبعين ألفا لا يقبلون مواعظهم، ولا يحفلون بتخويفهم إياهم وتحذيرهم لهم اعتزلوهم إلى قرية أخرى قريبة من قريتهم وقالوا: إنا نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خلالهم، فأمسوا ليلة فمسخهم الله كلهم قردة، وبقي باب المدينة مغلقا لا يخرج منهم أحد، ولا يدخل عليهم أحد، وتسامع بذلك أهل القرى فقصدوهم وتسنموا حيطان البلد، فأطلعوا عليهم فإذا كلهم رجالهم ونساؤهم قردة يموج بعضهم في بعض يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم وقراباتهم وخلطاءهم، يقول المطلع

لبعضهم: أنت فلان؟. أنت فلان؟. فتدمع عينه ويؤمي برأسه أن نعم، فما زالوا كذلك ثلاثة أيام، ثم بعث الله عليهم مطرا وريحا فجرفتهم إلى البحر، وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام، وأما الذين ترون من هذه المصورات بصورها فإنما هي أشباهها، لاهي بأعيانها ولا من نسلها.

في المسخ رأيان:

الأول: الذي عليه الإمام علي بن الحسين عليه السلام هو مسخ حقيقي، ويؤيده قول ابن عباس (ت٦٨هـ): فمسخهم الله عقوبة لهم، وكانوا يتعاوون وبقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، ثم أهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبت بهم فألقتهم في الماء(٤٦).

الثاني: إنه مسخ غير حقيقي، فلم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله (عز وجل)، والظاهر أن قد يحمل على المجاز، لان الأمثال لها ظاهر في الواقع.

قالوا: ومسخ قلوبهم، فجعلها كقلوب القردة، لا تقبل وعظاً، ولا تتقي زجراً(٤٧).

وهذا خلاف الظاهر، لان الذي عليه جل المفسرين -من غير ضرورة تدعو إليه. خصوصاً إذا وقفنا على قوله تعالى: ﴿كُونُواْ﴾ عرفنا ان قوله للشيء إذا أراده: كن فيكن على الحقيقة، وربما يجر القول الثاني إلى فتح باب تحمل معه قصص القرآن جميعاً إلى التسلية والأمثال الخيالية لا الواقعية، وهو أمر غير مقبول.

خاتمة البحث:

١. القرآن الكريم لم يتخذ لنفسه طريقة خاصة لإفهام مقاصده غير ما هو مفهوم من لغة العرب وأصول محاوراتهم بلسان عربي مبين، ليدبروا آياته ويفهموا معانيه، وكان من جملة ما جاء به القصص القرآني.

٢. أشارت القصة القرآنية في طيها إلى جملة من الأحكام التي يمكن أن يستنبط منها الفقهاء الكثير من الأحكام الشرعية، وكذلك نجد في القصة القرآنية الكثير من الدروس

(٤٦) ظ: المجلسي: بحار الأنوار ١٤/ ٥٩.

(٤٧) الرأي الثاني نسبه الطبرسي إلى مجاهد. (ظ: مجمع البيان ١/ ٢٤٨).

والعبر لما انمازت به من واقعية وأنبأتنا عن الأحداث التي جرت على الأمم السابقة.

٣. القصة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه -كما هو الشأن في القصة الغنية الحرّة، التي تَرمي إلى أداء غرض فني طليق -إنما هي وسيلة من وسائل القران الكثيرة إلى أغراضه الدينية.

٤. كان للإمام عليه السلام دور عظيم في عملية استنطاق النصوص القرآنية التي حوت في مضانها تلك القصص، فنجده عليه السلام يروي تفاصيل القصص دون أن يحدّث عن أحد، ولم يسند روايته لأحد، وإنما يمارس دوره الحقيقي.

٥. القصص القرآني تعبير صادق، قائم على الواقعية، فهو يتفق مع الإنسان في حقيقته. وواقعه التسامي في الهدف، حيث لا يدعى في القصص القرآني إلى شيء إلا و يقصد من ورائه هدف نبيل في غايته، ولا ينهى عن شيء إلا وكان للنهي عنه حكمة جُليلة.

٦. تُعد القيم التربوية في القصة القرآنية ركيزة أساسية من الركائز التي تؤكد على الأخلاق الإنسانية العالية في مقابل التركيز على الأحاسيس والانفعالات في شخصية الإنسان والتربية على الاهتمام بالغرائز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

خير ما نبدأ به القرآن العظيم.

١. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى ١٣٤٤ هـ.

٢. الحُر العاملي، مُحَمّدْ بن الحسن الحُر (ت١١٠٤ هـ)، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُّراثِ، الطبعة: الأُولى، جمادى الثانية ١٤٠٩ هـ.

٣. الحويزي، عبد على بن جمعة العروسى (ت ١١١٢هـ)، تفسير نور الثقلين،

الناشر مؤسسة اسماعيليان، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ.

٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ.

٥. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الناشر دار الفكر.

٦. الشِيرازي، نَاصِر مَكارم الدين، الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٧. الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه، (ت٣٨١هـ). كمال الدين وتمام النعمة، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة -١٤٠٥هـ.

٨. عبد الفتاح إسماعيل: القيم السياسية في الاسلام القاهرة: الدار الثقافية للنشر.

٩. عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت١٤٢٠هـ)، دُرَّةُ التنزيل وغُرَّةُ التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، دار الأفاق الجديدة ١٩٧٣م.

١٠. العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (ت٣٢٠هـ)، تفسير العياشي هاشم الرسولي المحلاتي، منشورات المكتبة العلمية الإسلامية. طهران.

١١. أبو العينين، علي خليل: القيم الاسلامية والتربية، المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبي.

١٢. فضل حسن عبّاس، القصص القرآنيّ إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمّان-الأردنّ، الطبعة الاولى.

١٣. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. منشورات المطبعة الخيرية. مصر ١٣١٠هـ.

١٤. التصوير الفني في القرآن الكريم،

الناشر: دار الشروق الطبعة: السادسة عشر.

١٥. القمي: ابي الحسن علي بن ابراهيم (ت ٣٢٩ هـ)، تفسير القمي. المصحح: طيب الموسوي الجزائري، المطبعة مؤسسة دار الكتاب/ قم، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ.

١٦. لطفي بركات أحمد، في فلسفة التربية، الناشر: دار المريخ ١٩٨٩م.

١٧. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، دار النشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: السابعة.

١٨. المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار.

١٩. منشورات مؤسسة الوفاء الطبعة الثانية المصححة بيروت/ لبنان ١٤٠٣ هـ.

٢٠. محمد احمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، تحقيق: خليل عبد الكريم، الناشر: مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٢١. محمد قطب، القصة فى القران، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، ٢٠٠٢.

٢٢. مريم عبد القادر السباعي، القصة في القرآن الكريم، مكتبة مكة/ مكة المكرمة.

٢٣. محمد محمد صادق الصدر (ت١٤٢١هـ)، ما وراء الفقه، المطبعة: قلم، ١٤٢٧ -٢٠٠٧م.

٢٤. النوري، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ). مستدرك الوسائل. تحقيق مؤسسة اهل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، الناشر: مؤسسة اهل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ.